الفصل الثاني

جمع المسلمين
للمصحف الإمام

تبين لنا أن الجمع الأول للقرآن الكريم هو أمرٌ تكفَّل المولى عز وجل به، وأن معنى كلمة الجمع في القرآن الكريم هو ضم الآيات بعضها إلى بعض وبناؤها ونظمُها في السورة الواحدة، وضم السور إلى بعضها حتى يتكون القرآن كله، وهو جمع للقرآن لأنه جمع لما نزل مفرقاً، والقرآن في هذه الحالة مادة معنوية ومحفوظة في القلوب وقابلة للتلاوة والسماع.

الجمع الثاني: الجمع النبوي

فإذا ما توجهت العناية إلى جعل القرآن الكريم من حالة معنوية مسموعة إلى حالة مكتوبةٍ على الرّقاع والصحف، فإن ذلك جمع أيضاً، لأن ما سوف يكتب على الصحف هو ما جُمِعَ وهو قراءة وقرآن، والجمع هنا للرقاع والصحف التي كتب عليها القرآن الكريم، ولذلك من الجائز لغة أن يسمى جمعاً، لأنه جمع للرقاع والصحف التي كتبت عليها آيات القرآن الكريم وسوره، فهو جمع خاص بالصحف، وهو غير الجمع الأول بالمعنى القرآني لكلمة الجمع التي وردت في سورة القيامة: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، وإنما هو تابع له.

ولما كان نزول الآيات والسور على النبي عليه الصلاة والسلام مفرقاً، كانت كتابة هذه الآيات والسور على الرقاع والعسب والصحف وغيرها مفرقة أيضاً، ولكنها مشمولة إلى سورها، وكان جمع الله تبارك وتعالى للقرآن الكريم للآيات في السُّور يترتب عليه جمع لهذه الآيات والسور وهي مكتوبة في الرقاع والصحف أيضاً،

ولذلك تزامن جمع الله تبارك وتعالى للقرآن الكريم مع جمع النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن مكتوباً في الرقاع والعَسْب والصحف وغيرها، فكان جمع النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن هو جمع للمكتوب على الأشياء المتوفرة في زمنه عليه الصلاة والسلام، وهي الحجارة والرقاع والعَسْب والنخيل وغيرها، فكان جمع النبي للقرآن مكتوباً هو الجمع النبوي للقرآن الكريم، وقد أطلقنا عليه الجمع الثاني، وقد كان الجمع الثاني مطابقا للجمع الأول وتابعاً له وفرعاً منه، ولم يُتوفَّ النبي عليه الصلاة والسلام إلا وقد كان الجمع الثاني كاملاً وتاماً بين أيدي المسلمين والمؤمنين، وبالأخص عند كتبة الوحي وكبار الصحابة رضوان الله عليهم.

الجمع الثالث: جمع الأمة للمصحف الإمام

فلما توفي النبي عليه الصلاة والسلام كان الجمع النبوي للقرآن الكريم مكتوباً، ومدوناً بكل آياته وسوره في الرقاع والصحف في بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وكان بعضه أو كله مكتوباً ومدوّناً عند كل من كتب لنفسه شيئاً من سور القرآن الكريم، سواء كان من كَتَبة الوحي أو من غيرهم من المسلمين والمؤمنين، أي أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يفارق الدنيا إلا وقد كانت كل آيات القرآن الكريم قد كتبت في الرقاع والصحف في سورها وترتيبها ونَظْمِها وبنائها الذي نزل به روح القدس من الله تعالى، أي كان الجمع الثاني للقرآن قد أنجز مهمته كاملة، وإلا كان النبي عليه الصلاة والسلام غير متم لجمعه، وهذا ما يتنافى وأمانةَ التبليغ التي كُلف بها، ويتنافى أيضاً مع حرص النبي عليه الصلاة والسلام على كتابته واتخاذه كتبة للوحي وأمره أن يضعوا الآيات حيث يأمرهم. ولذا نقول: إنه لا يجوز على علماء المسلمين قبول رواية تشكّك في جمع النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن كاملاً ومدوناً ودون أن يستثني من ذلك آية واحدة، مهما كانت صحة الرواية التي تشكك بذلك، فقد أتم النبي عليه الصلاة والسلام جمعه في تدوين القرآن الكريم كاملاً على الصحف، وكان جمعه للقرآن الكريم كاملاً كما أنزل في الجمع الأول من الله تعالى، والفارق بين الجمع الأول والثاني أن الجمع الأول كان جمع ما نزل مفرقاً ليشكّل قرآناً مقروءاً،

والجمع الثاني كان جمعاً للقرآن مكتوباً على الأشياء من عَسْب ونخيل وحِجارة وغيرها، وكلاهما محفوظ من الله تعالى.

فلما كانت خلافة المؤمنين للعهد النبوي بقيادة أمة من المؤمنين تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفي مقدمتها الصديق أبو بكر رضي الله عنهم، اتفقت مجالس شوراهم على جمع مدوّنات القرآن الكريم في مصحف واحد، أي في كتاب واحد بين دفتين، وكان النبي عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك لتواصل نزول القرآن عليه حتى عامه الأخير، وكل ما تساءل عنه المؤمنون حول هذا الجمع للرّقاع والصُّحف في مجلد واحد، عند قولهم: كيف نفعل أمراً لم يفعله النبي عليه الصلاة والسلام، فمعناه: هل يجوز لنا أن نفعل أمراً لم يفعله النبي عليه الصلاة والسلام بخصوص القرآن الكريم؟ أي هل يجب علينا أو يجوز لنا أن نجمع صحف القرآن ونجلدها في كتاب واحد أم لا؟ وهذا تساؤل ورد عن أبي بكر وزيد بن ثابت أول مرة[1].

فكان الجواب أن هذا العمل فيه الخير للمسلمين والمؤمنين، وعدمُ قيام النبي عليه الصلاة والسلام بجمع صحف القرآن في مجلد واحد لا يمنع من قيام المؤمنين بذلك، وبالأخص بعد أن تأكدّ للصحابة اكتمال نزول القرآن الكريم كاملاً بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فشكلّت الأمةُ الحاكمة اللجان المختصّة ونُودي على المنابر أن الدولة الإسلامية قد شرعت في جمع صحف القرآن في مجلد واحد، فمن كان عنده شيء من القرآن محفوظاً ومكتوباً ومعه شاهدان فليأت به[2]، والغايةُ من ذلك:

أولاً: الإعلان عن بدء عملية الجمع للقرآن في مصحف واحد.

ثانياً: أن يشهد المسلمون والمؤمنون كافة في ذلك الوقت على عملية جمع القرآن الكريم في مجلد واحد.

---

(1) انظر: الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، 6/ 119.

(2) انظر: تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، خالد عبدالرحمن العك، دار الفكر. دمشق. الطبعة الثانية، 1406هـ-1986م، ص 43.

ثالثاً: فتح باب المشاركة في عملية الجمع للجميع، حتى يشارك في هذا العمل الجليل وثوابه كلُّ من أحب المشاركة.

رابعاً: حرص من القائمين على الأمر بإغلاق باب الفتنة، وردّ شبهات الشياطين من الجِنّة والناس لو كانَ جمع المصحف في السر ودون شهود، ودون تعاون على البر والتقوى.

فاستحق هذا الجمعُ عدة أوصاف منها: جمع الأمة للمصحف الإمام، وجمع الصحابة، وجمع الصديق، ومن الممكن أن نَصِفه بجمع الشهود الأوائل وجمع الراشدين، وغيرها من الأوصاف، وقد أطلقنا على هذا الجمع: الجمع الثالث، لأنه جاء بعد الجمع الرباني الأول، وبعد الجمع النبوي الثاني، فكان هو الجمعَ الثالثَ.

ومن الأدلة على صحة ما نقوله بخصوص الجمع الثالث وأنه كان يهدف إلى جمع القرآن المكتوب في العهد النبوي في كتاب واحد ومجلد واحد، أن الصحابة رضوان الله عليهم اجتهدوا في تسمية هذا المجلد، فاتفقوا على تسميته بالمصحف، تأكيداً على أن عملهم إنما تركز على جعل الرقاع التي كتبت في العهد النبوي الشريف في مصحف واحد.

فكان جمع المسلمين والمؤمنين للقرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق، لا يختلف في مضمونه عن جمع القرآن في العهد النبوي، ولا يختلف أيضاً عن الجمع الأول وهو جمع الله تبارك وتعالى للقرآن الكريم كاملاً في نصّه ونظمه، لأنه جمع ثالث لما تم في الجمع الثاني في العهد النبوي الشريف، وهو بالتالي جمع لما تم جمعه من الله تبارك وتعالى للآيات في السُّور والسور في القرآن كله، لقد كان جمع القرآن في عهد أبي بكر من أكبر الإنجازات التي قامت بها الأمة مشتركة في جمع الرقاع والصحف في كتاب واحد، وأصبح هذا المصحف مرجعاً لكل مصحف يُكتب بعده، ولذلك أطلق عليه الصحابة: المصحف الإمام، وهو المصحف الإمام بحق، لأن كل المصاحف التي كتبت بعد ذلك إنما نسخت عنه، سواء في خلافة أبي بكر أو في خلافة عمر أو في خلافة عثمان رضي الله عنهم، وإذا وُجد شيء من الاستثناءات فعند من كان بعيداً عن المدينة المنورة، أو عند أهل الأمصار الذين كانت عندهم بعض

الصحف التي حملها بعض الصحابة معهم في فتوحات الخير، وكانت مما كُتب قبل نسخ المصحف الإمام، أي أنه كان هناك صحف ومصاحف لأفراد المسلمين من الصحابة وغيرهم مما كتبوه لأنفسهم في العهد النبوي، أو في خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم دون الرجوع للمصحف الإمام لأنهم لم يُنهوا عن ذلك.

الجمع الرابع: تعميم المصحف الإمام وتوحيد مصاحف المسلمين:

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقع الاختلاف بين بعض غلمان المسلمين في القراءة، فأوجب ذلك على المؤمنين وخليفتهم عثمان بن عفان أن ينسخوا عن المصحف الإمام عدة نسخ رسمية، تُوزع على الأمصار لتعتمد دون غيرها من الصحف أو المصاحف الخاصة، خشية أن تكون هذه الصحف الخاصة من أسباب اختلاف الغلمان في الأمصار، واتفق إجماعُ أهل الشورى وخليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنهم على إحراق كل الصحف والمصاحف الخاصة، توحيداً لعملية النسخ عن المصحف الإمام، ولذلك أطلق بعض المسلمين على نسخ المصاحف الرسمية عن المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمع عثمان أو الجمع العثماني أو المصحف العثماني، وما هي إلا أوصاف علمية موضوعةٌ لما تم عملُه ومَن أشرف عليه، ونحن نطلق عليه الجمع الرابع تجاوزاً، حتى نميزه عما سبقه، وميزة الجمع الرابع أنه عمم المصحف الإمام على المسلمين كافة، وأنه أحرق كل الصحف والمصاحف الخاصة توحيداً للأمة على المصحف الإمام.

وهكذا نجد أن كل عمليات جمع القرآن الكريم كانت مطابقة لبعضها بعضاً في النص القرآني، دون تغيير ولا زيادة ولا نقصان، وما تعدد عمليات الجمع تلك إلا لتنوع أشكال عمليات الجمع وليس لاختلاف المضمون، لأنها كلها كانت لنفس الآيات والسور كما أنزلها الله تعالى في الجمع الأول، واستعمال كلمة الجمع لكل مرة هو مما تقبَلُه اللغة وإن لم يكن بينها فرق يذكر، فالاختلاف إنما هو في معنى كلمة الجمع لا غير.

هذه قصة جمع القرآن الكريم من الله تبارك وتعالى أولاً، ثم من النبي عليه الصلاة والسلام ثانياً، ثم من الشهود الأوائل للمصحف الإمام ثالثاً، ثمّ في توحيد

مصاحف الأمة عن المصحف الإمام رابعاً، وليس هناك ما يمنع من جمع خامس وسابع، طالما دعت الحاجة لذلك، لأن كل جمع بعد الجمع الأول، هو جمع تدوين وكتابة وتوثيق، يمتاز من غيره أو ممّن قبله تحديداً بالحاجة إليه، ومسايرة الإمكانيات العلمية والتقنية في عصر الجمع والكتابة، ومثال ذلك ما ذهب إليه أحد المسلمين في تصنيف عمله بأنه الجمع الصوتي الأول للقرآن، وقد وصفه بالمصحف المرتل[1]، وكذلك ما تم في العصر الحاضر من طباعة المصحف الإمام على أشرطة واسطوانات تسمع بالأجهزة الكهربائية، وبعدها على الأشرطة الممغنطة التي تسمع بالأجهزة الإلكترونية والكمبيوترات، فهذه عمليات نسخ وجمع حديثة أصبحت من وسائل تعلم القرآن وتفسيره وبيانه.

(1) انظر: الجمع الصوتي الأول، أو المصحف المرتل، عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته. الدكتور لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

obeikandl.com